محاضرة رقم: 08

التجديد والتقليد في الأدب الجزائري

مقدمة:

بلورت المرحلة السبعينية من القرن الماضي العديد من الإحداثيات الفكرية والسياسية و الإيديولوجية التي ستكون محل اهتمام جل المثقفين الجزائريين في فترة الثمانينيات تحديدا، نظرا لما وفرته هذه الفترة من انفتاح سياسي و ثقافي أدى إلى إعادة استحضار الأطروحات المغيبة عن الساحة الثقافية منذ فترة الاستقلال زمنيا، و عن المواثيق السياسية و التنظيمية للدولة الوطنية على المستوى الإيديولوجي. وتحاول هذه الورقة أن تترصد بعض هذه الإحداثيات المغيبة عن الخطاب الثقافي الجزائري طيلة المرحلة السبعينية، و مدى تأثيرها في صياغة وعي حَداثي مختلف لدى الشعراء الجزائريين الذين عايشوا هذه الفترة. و هو الوعي الذي مكنهم من صياغة نص شعري مختلف عما كان يطبع المدونة الشعرية الجزائرية من نمطية فكرية و جمالية مرتبطة بالطرح الإيديولوجي السائد في الفترة السبعينية .

1) الوعي بالحداثة و استحضار الطرح المغيّب:

يلاحظ الدارس للمدونة الشعرية الجزائرية في فترة ما بعد السبعينيات أن معْلمَين أساسيين اثنين حدّدا مرحلة الثمانينيات في تاريخيتها، وأسسا- بناء على ذلك - لحركية الانفصال الإيديولوجي و الثقافي عن المرحلة السبعينية بكل ما تحمل الكلمة من معنى. و هذان المعلمان هما:

أ- بداية أفول نجم المرحلة السبعينية برؤيتها الإيديولوجية اليسارية، بوفاة الرئيس الراحل هواري بومدين في نهاية السبعينيات.

ب- تجلّي الصراع الإيديولوجي في أقصى مظاهره المصحوبة بالعنف من خلال ما سمّي بأحداث أكتوبر 1988، و تحول إشكالات الصراع الإيديولوجي و السياسي إلى مواجهات بين النظام السياسي المأزوم و الشارع لأول مرّة في تاريخ الجزائر المستقلّة .

و يبدو المعلم الأول واضحا في الإشارة إلى انتهاء المرحلة البومدينية بوفاة الرئيس الراحل هواري بومدين في نهاية السبعينيات، و من ثمة انتهاء المشروع الذي كان يحمله، عن التصورات الذاتية و الموضوعية الخاصة بمستقبل الجزائر الثقافي -على الأقل من الناحية النظرية-. و ذلك على الرغم من استغلال التيارات الإيديولوجية و الفكرية المنضوية تحت الجهاز التنظيمي للعام للحزب الواحد، لأفكار هذا المشروع من أجل الحفاظ على مواقعها و توسيع دائرة تأثيرات رؤيتها السياسية في مستقبل الممارسة الإيديولوجية و من ثمة التأثير على الخطاب الثقافي وتجلياته الإبداعية .

و نخص هنا بالذكر التيار اليساري القريب من السلطة الذي بدا في المرحلة السبعينية أكثر تطرفا و إلحاحا في تطبيق رؤيته من الأفكار التي كان يحملها المشروع البومدييني نفسه حول العدالة الاجتماعية و المساواة و الحرية و تكافؤ الفرص بوصفها واجهة إيثارية تبريرية تغطي الرؤية الإيديولوجية و مصلحيتها. و هي قيم طالما نادت بها المرحلة البومدينية و حاولت أن تطبقها على مستوى الواقع المُعاش، و لكن بتفاوت كبير بين ما كانت ترجوه رؤيتها و ما كان يريده التيار اليساري الضاغط.

و قد تجلّى ذلك من خلال استغلال هذه القيم من أجل تمرير أنموذج تسييري للأنماط الاجتماعية و الثقافية لا يمت بصلة إلى بنية المجتمع الجزائري و لا يراعي جذور مكوّناته الاجتماعية و الثقافية. كما أدى إلى نمذجة الخطاب الثقافي في الانجازات المُحققَة على مستوى التحولات التي شهدها المجتمع في بنيته الفلاحية الرعوية خاصة، و إعادة هيكلة بنية المجتمع الثقافية من خلال كسر النسيج الاجتماعي البسيط الذي كان يحافظ على جذوره الثقافية على الرغم من توارثه لمعطياته السلبية من فترة الاستعمار الفرنسي.

ففي حين كانت الطبقة المُسيَّسة و المثقفة الواعية بعمق هذه التحولات وخطورتها تحاول أن تحافظ على مصالحها الاجتماعية و مكاسبها الثقافية من خلال التكوين الجيد باللغة الفرنسية و التخصصات المُربحة لأبنائها- وهي طبقة قليلة أتاح لها تكوين فترة ما قبل الاستقلال وعيَها بضرورة التموقع و استباق حركة التغيير القادمة -، كانت الطبقات الفقيرة من عامة أبناء الشعب و غالبيته المسحوقة تخضع لحركة تجريب إيديولوجية طالت بنياتها الثقافية و مرجعياتها الدينية، ومساحتها الجغرافية، من خلال الدخول الإجباري كـ'عيّنات تجربة' في المخبر الإيديولوجي للفترة السبعينية الذي أخضعها لحتمية التحول الاجتماعي بتفكيك نسيجه الريفي الطبيعي، و تحويله إلى 'قُرى اشتراكية' و'غلوكوزات' تُسيّرُ بتقنيات مستوردة. كما طالت حركة التجريب الإيديولوجية عمّال المدن، إلى طبقة عُمّالية خاضعة للرؤية التحديثية التي كانت تتبناها السلطة من خلال ما كانت تصوّره على أنه إنجازات ضخمة كالمصانع و المعامل و الوحدات الإنتاجية، و ذلك على الرغم من ضعف تكوينهم الثقافي و ضعف فرص تعليمهم نظرا للفترة الاستعمارية .

و قد كانت هذه المحاولة تبدو في جوهرها، بالنسبة للرأي المُخالف، فعلا سياسيا و إيديولوجيا مُتعمَدًا يعمد إلى كسر الحراك الثوري الذي توارثه المجتمع الجزائري منذ الفترة الاستعمارية وتحويل فاعليته عن المجرى الحقيقي الذي طبع بنية المجتمع الجزائري و هو يحاول أن يقف في وجه الاستنبات القسري للهويّات المستوردة منذ العهد التركي.

وقد ولّدت تجربة الكسر الثقافي و الحضاري التي أنتجتها الطريقة المصلحية الانتقائية في تسيير هوية الأمة و 'وضع اليد الإيديولوجية' على كتابة تاريخها بمختلف توجهاته و تعدد أبعاده، إلى تعميق المفارقات التاريخية على مستوى الخطاب الثقافي في مخيلة مثقفي ما بعد السبعينيات و شعرائها. كما أدى هذا الكسر إلى كسر آخر أكثر خطورة في تصور رؤية منسجمة مع نفسها للمشروع الثقافي الذي يجب أن يكون عليه مستقبل الجزائر. " و الحق فإنّ عجز السلطة عن إيجاد حلول مناسبة ليس فقط لمشكل الهوية كجزء من المشكلة الثقافية، بل عجزها عن إيجاد حلول لعديد من المشكلات السياسية و الاقتصادية كان السبب الأساسي في ظهور العنف المادي و الرمزي بشكل مباغت، وبطريقة تجاوزت كل معقولية ممكنة"

و من هنا فإن مشكلة الهوية بوصفها جزءً لا يتجزأ من المشكلة الثقافية الشاملة ظهرت بصورة جليّة من خلال مسألة الرفض المبدئي لهذا المشروع من طرف المثقفين الجزائريين الذين كانوا يحملون رؤية فكرية و ثقافية مختلفة. و هو رفض ينم عن عمق الكسر الذي كان سائدا في البنية الثقافية للمجتمع الجزائري في فترة ما بعد الاستقلال و التي يسميها عبد القادر جغلول بـ "عصر الارتباك".

و قد تجلت مسألة رفض المشروع السبعيني على مستويات ثلاثة نعتبرها أساسية في تشكيل الوعي الآخر بتحديث الأسس الفكرية و الثقافية وفق نظرة أكثر انسجاما مع المنابع الحضارية للمجتمع الجزائري حتى وإن بدت مختلفة في تعبيرها عن الأفكار و الآليات الكفيلة بتطبيقها.

و إذا كانت مستويات الوعي البديل هذه تعبر عن شريحة واسعة من السياسيين و المثقفين ممن لم يجدوا مساحة للتعبير عن أفكارهم في الفترة السبعينية، فإننا سنكتفي بذكر نماذج تمثيلية لهذا الطرح تعبر عمّا عاناه المثقف في صياغة المشروع الحداثي البديل و في تمرير الأفكار الأساسية لرؤيته بمختلف توجهاتها داخل المنظومة الفكرية والثقافية لفترة السبعينيات.

و هذه المستويات هي:

أ- مستوى الطرح الفكري الفلسفي كما هو الحال في كتابات و مواقف مالك بن نبي.

ب- مستوى الطرح الديني و الحضاري كما هو الحال في كتابات و مواقف البشير الإبراهيمي.

ج- مستوى الطرح الثقافي و الإبداعي كما هو الحال في أشعار و مواقف مفدي زكريا.

و تدلّ هذه النماذج على تصورات الطرح المغيّب عن عمق المساءلة الفكرية و الثقافية، حتى و إن كانت أفكار أصحابها ليست بالغريبة تماما عن واقع هذه المساءلة. كما أنها لا تزال تدلّ إلى اليوم على الجرح الثقافي و الحضاري الذي عمّقته الرؤية الانتهازية لفترة ما بعد الاستقلال ولمّا يبُحْ بعدُ بكلِّ أسراره. و إلا كيف يمكننا تفسير حضورها في جوهر المساءلة الإبداعية لشعراء ما بعد السبعينيات من خلال محاولاتهم طرحها مرجعيةً جديدة وطرح إحداثياتها المغيبة بديلا للمرجعية الفكرية المسيطرة على النص الشعري السبعيني بكل ما تحمله من ثقل إيديولوجي، و التي كان شعراؤها المعربون و المفرنسون يتباهون باستعمالها من أجل تحقيق الحلم "بعالم المساواة، عالم السلم، عالم الجمال و الحرية، عالم تسوده العدالة، وتصبح فيه الاشتراكية حقيقة ملموسة و ليس شعارا.

و لئن كان شعراء ما بعد السبعينيات نتاجا حتميا لجوانب التحديث الإيجابية في فترة السبعينيات نظرا لما أتاحته لهم هذه الفترة من تعليم مجاني و تكافؤ فرصٍ مكنهم الوصول إلى مراحل متقدمة من التكوين الجامعي - وهذا من الإفرازات الإيجابية لهذه المرحلة التي لا يجب إنكارها أو المرور عليها مرور الكرام-، فإنه من الواجب الإقرار بأنهم كانوا نتاجا لجوانبها السلبية كذلك، من خلال ما عرفته من إفرازات على مستوى ما ذكرناه سالفا من صراعات سياسية و ثقافية اعتمدت على تغييب الرأي الآخر، و من وعيهم لتناقضات المرحلة التي تربّوا فيها و الرؤية التي استقوا منها تكوينهم الثقافي و الفكري .

إن الحق في اكتشاف هؤلاء الشعراء للتناقضات التي أفرزتها هذه المرحلة بصراعاتها الفكرية و الثقافية لم يكن أمرا ضروريا فحسب، و إنما كان أمرا حتميا فرضته طبيعة هذه التناقضات في تجلياتها الثقافية و انعكاس هذه التجليات على الرؤية التي كان يجب أن يحملوها عن ماضي الجزائر الثقافي القريب منهم، و عن معالم مستقبله. ذلك أننا سنجد معالم المساءلة الجوهرية لهذه التناقضات واضحة في نصوصهم الشعرية، لا على مستوى المضامين التي كان لابد أن تنظر إلى إنجازات المرحلة السبعينية برؤية مختلفة و تحاول تجميع (شظايا الانتماء) و الـ (تأمل في وجه الثورة) برؤية تحاول أن تقتنع "بجرح الطريق"وتعمد إلى مكاشفة "قلب الحرائق بالورد و الأقحوان"، وإنما على مستوى الأشكال الكتابية و تجليات أنساقها الدلالية في البنيات النصية من خلال إعادة صياغة النص الشعري صياغة تعتمد على الترميز من أجل تمرير الموقف و الـ"إعلان عن هوية" الذات الشاعرة في زمن الانقلاب على القيم الفكرية والجمالية حيث:

صار نوفمبر الحب و الاغتراب

و صار الكلاب أسودا..

و أضحى الأسود كلاب..

و كان لابد لهؤلاء الشعراء أن يضعوا في عين الاعتبار مجمل هذه الإشكالات من أجل التأكيد على مساحة الاختلاف و تحقيق هامش الخصوصية الذي يعبر عن التغيرات التي عايشوها.

2) جدلية الفكرة و حتمية التحديث الشعري:

أما المعلم الثاني الذي يحدد فترة الثمانينيات بوصفها مرحلة انتقالية في البنيات الثقافية و الإيديولوجية للمجتمع، فهو المعلم الأساسي الحاضر في تاريخ الجزائر المعاصر، و التي عادة ما وصفت بـ (أحداث أكتوبر1988) و وصل فيها المجتمع الجزائري إلى مرحلة متقدمة من التأزم في الصراع بين المواقف السياسية وانعكاسها على المشاريع الثقافية، و تجلي أيقوناتها المغيبة بصورة واضحة إن على مستوى الكتابات السياسية و الفكرية، أو على مستوى الحراك الثقافي الذي كانت تشهده الجامعة الجزائرية بوصفها حاضنة مكوّنة لهؤلاء الشعراء خصوصا، و تنامي صراعاتِ توجهاتِ طلبتِها بين المتخندقين في صفوف الخلايا اليسارية العاملة تحت غطاء التنظيمات الطلابية الرسمية التي كانت تستمد شرعية نشاطها من جناح السلطة الداعم لها، و بين المتخندقين في التنظيمات الإسلامية المتموقعة في المساجد والأحياء الجامعية، والباحثة عن شرعية من خلال سياسة الأمر الواقع.

لقد كان للصراع الإيديولوجي و الثقافي الذي شهدته مرحلة الثمانينيات، خاصة بالنسبة للشعراء الذين صادف تعليمهم في هذه المرحلة بالذات، أثرٌ بارزٌ في تحول النظر لمساحة الصراع الثقافي إلى وجهة تحاول أن تدرك مساءلاتها الجوهرية و تبني لها موقفا منها .

و لعلّ النقاشات السياسية و الفكرية المبطّنة بغطاء اللبوس الثقافي و النشاط العلمي قد لعبت دورا أساسيا في تأجيج مساحة الصراع و بلورة المفاهيم و المواقف التي كان يجب على الأطراف تبريرها بمبررات تريد أن تعيد إشكاليات الهوية الوطنية و التعريب و الانتماء الحضاري و الموقف من المذاهب الإيديولوجية المستوردة، و ثنائيات التقليد و التجديد و القِدم و الحداثة والأصالة والمعاصرة.

و قد وجدت الأطراف المتصارعة في هذه النقاشات فرصة سانحة لتدلي بوجهة نظرها فيما يخص أساليب التحديث الإبداعي و الفكري بناء على مواقفها من هذه الثنائيات. ولطالما كان شعراء هذه المرحلة و مبدعوها يحاولون ربط طرائق الإبداع وتجلياتها الشكلية و الدلالية بمواقف أصحابها، فيكون التجديد في الشكل الشعري بالنسبة لأحدهم موقفا من أحد أطراف هذه الثنائيات التي سيطرت على الخطاب الثقافي في الثمانينيات، و العكس صحيح.

و لو تمعنّا في أساسات التغيرات الثقافية في هذه المرحلة بعين فاحصة ومقاربة هادئة، لوجدنا أنها من أهم مراحل التاريخ الثقافي للدولة الجزائرية المستقلة نظرا لما سبقها من جوٍّ مُغلقٍ على مستوى الممارسة الثقافية قبل سنة 1978، و لما لحقها من جوّ مفتوح على كل الاحتمالات قبيل أكتوبر 1988 و بعده.

لا يمكن أن نتصور فهما عميقا للنص الشعري لشعراء ما بعد السبعينيات من دون التوقف عند الجذور الاجتماعية و التكوينية لهؤلاء الشعراء ومعرفة مدى تأثيرها على تغيّر بنية النص الشعري، نظرا لما أتاحته من مبررات فكرية و معرفية ومسوغات نفسية، تنبئ عن مدى إدراكهم الرؤية المعرفية التي تحدد علاقتهم بعوالم الشعرية المعاصرة، و تمكنهم من الانتقال بإشكاليات التجريب إلى آفاق جديدة. ذلك" أنّ الذات في فضاء الشعر - وتحديدا الحديث - إنّما هو حضور ذات إدراكيّة. إنّ مسألة الذاتيّة تظلّ شرط إمكان المشاركة في كونيّة الأدب، باعتبارها مشاركة تقتضي إسهاما معرفيّا".

و يبدو من خلال التمعن في دواوين شعراء ما بعد السبعينيات الصادرة في هذه الفترة، أن الرغبة في بلورة هذه الذات من حيث طرحها لأنموذج الكتابة الشعرية المختلف عن سابقه فيما تغاير معه به، و الراغب في تجاوز ما تَشَاكَلَ معه فيه، ليس وليد صدفة حداثية أتاح لها جِراكُها المرحلي التمظهُر باللبوس الذي ظهرت به فحسب، و إنما هو نتيجة البنية المُكوِّنة للجذور الاجتماعية و الثقافية لهؤلاء الشعراء و ما لحقها من تغيّرات جذرية على مستوى الأنساق المعرفية المُؤسِّسَة لهذه الذات.

لقد أدى فشل المشاريع التنموية في هذه المرحلة إلى الإصرار العنيف على الجانب الثقافي الذي أُقْصِيَ ممّا سُمي بالثورات الثلاث (الزراعية والصناعية والثقافية) التي بنت عليها الرؤية النظرية للمرحلة السبعينية تطبيقاتها على مستوى الواقع الاجتماعي. ذلك "أن العنف ارتبط بالثقافة الجزائرية، و أنه قد تم امتداحه في الخطاب الوطني و خاصة بعد نجاح حرب التحرير الوطنية، و إن السلطة الوطنية قد تأسست على العنف وعملت على التغيير العنيف من خلال شعار ثوراتها الثلاث الزراعية و الصناعية و الثقافية".

و إذا كانت الثورة الزراعية و الثورة الصناعية و هما تستحوذان على اهتمام المشروع البومدييني قد وجدتا لهما طريق التطبيق فيما ذكرناه سابقا حتى و إن فشلتا في إفراز نوع من التوازن الاجتماعي داخل البنية المدمرة الموروثة من الفترة الكولونيالية، فإن ترك الثورة الثقافية جانبا بطريقة مُتعمَّدة وأكيدة، أدى إلى تجلي الرؤية العنيفة للصراع بين منظومتين معرفيتين تتجاذبان الحراك الاجتماعي و تَسُوقانه إلى معالم ثقافية تحمل في عمق أطروحاتها الفكرية والإبداعية العناصرَ الاستشرافية الأولى الدالّة على عنف التصور في طرح معالم الهوية الوطنية وعنف الممارسة الثقافية في الحجاج على صدق هذه التصورات أو على زيفها.

و يبدو جليًّا مع بداية تقادم هذه المرحلة التاريخية، بأن ترك الثورة الثقافية جانبا إنما كان ينمُّ عن سيطرة شمولية الرؤية الفكرية و الإيديولوجية للمرحلة السبعينية، و تجلي هشاشة تصورها للبناء الثقافي لجزائر ما بعد الاستقلال، مما حدا بها إلى تحويل (Transfert) إشكاليات عناصره العالقة منذ فترة ما قبل الاستقلال إلى مثقفي ما بعد السبعينيات، لا بوصفها إرثاً لم تقدر على تحمّل مسؤولياتِ طرحِهِ بصورةٍ جليّةٍ فحسب، و إنما بوصفها عقدة معرفية و إشكالا إيديولوجيا قابلا لمعاودة الظهور بطرق أكثر إلحاحا في أية لحظة. و لعل هذا ما أدى بشعراء هذا الجيل إلى البحث عن عناصر الهوية الشعرية من خلال البحث عن عناصر الهوية الوطنية والانتماء الحضاري .

و كأن الإشكال الحقيقي الذي سيواجهه هذا الجيل إنما هو مشكلة الهوية لا بوصفها إرثا سياسيا و حضاريا يجب التخلص من تبعاته السلبية فقط، و لكن بوصفها عقدة وجودية تتطلي إشكالاتها الفلسفية على المسار الوجودي لهؤلاء الشعراء و هم يحاولون البحث عن مكان يسع تساؤلاتهم الموروثة. "ذلك أننا عندما نأتي إلى هذا العالم، فإننا لا ننخلع في واقع الأمر عن جذورنا، بل نحمل في أنفسنا الانفصال عن الجذور. و هذا الوجه الذي نحاول طيلة حياتنا أن نلصقه بجلدنا، حتى ولو أدى الأمر إلى فقدان هويتنا الأولى".

لقد بدت هذه المرحلة التي عايشها شعراء ما بعد السبعينيات و كأنها مرحلة التخلص من الإرث السبعيني، من خلال إعادة هيكلة البنيات الاجتماعية والاقتصادية غير القادرة على التأقلم مع معطيات العصر. وقد أدى ذلك إلى تعطل الآلة الصناعية و شحّ الإنتاج الزراعي في المنظومات الفلاحية التي طالما تغنى بإنجازاتها شعراء السبعينيات، و ما تبعهما من تسريح سيزداد مع الوقت لآلاف العمال ذوي الأصول الريفية الذين وجدوا أنفسهم في مواجهة واقع اجتماعي متغير لا يتكفل بمتطلباتهم الضرورية في عيش كريم كانوا يطمحون من خلاله إلى تحقيق أحلامهم المسكونة بالوهم السبعيني.

و الحق أننا لو بحثنا عن الجذور الاجتماعية لشعراء ما بعد السبعينيات لوجدنا أن معظمهم ينتمون كنظرائهم السبعينيين إلى الطبقات الفقيرة من العمال أو الفلاحين التي حملت في صيرورتها التاريخية ظلم الاستعمار الفرنسي الغاشم، ودفعت ضريبة التحرير بطريقة مباشرة أو غير مباشرة أثناء الثورة التحريرية، و عايشت حلم الاستقلال و المساواة و العدالة الاجتماعية، وتحمّلت انعكاسات هذا الحلم على أرض الواقع. و قد تحمل شعراء هذا الجيل تبعات هذه الصيرورة و هي تفضي إلى تبلور الصراع بطريقة حادة و مريرة. و يبدو ذلك جليا في الموضوعات التي كانت تستحوذ على قصائدهم و طرائق طرحها بصورة مختلفة عن نظرائهم السبعينيين.

لقد كانت العودة إلى موضوع الثورة الجزائرية باعتبارها بؤرة مركزية للتدليل على الانتساب الحضاري و التاريخي لشعراء ما بعد السبعينيات، و محاولتهم تلقف أيقوناتها الرمزية تأخذُ مجرى مخالفا في البنية الدلالية و الفكرية لنصوصهم من خلال تجاوز الطرح المناسباتي المباشر الذي كان يطبع النصوص السبعينية.كما تغيرت مصادر الاستقاء من المنابع الثقافية التي كانت تُميّز الجيل السبعيني، فأصبحت الرموز الثقافية و الفكرية المغيّبة في النصوص السبعينية أكثر حضورا في النصوص الجديدة من خلال استنطاق الحادثة التاريخية و إعادة قراءتها قراءة مختلفة. نستشف ذلك من خلال مناداة هؤلاء الشعراء لهذه الرموز وكأنها مناداة استنجادية للبعد المُغيّبِ في النص الشعري من أجل تعديل اختلالاته البلاغية و تحقيق مساحة التوازن في بنياته الدلالية.

كما أعاد هؤلاء الشعراء طرح مشكلة الهوية الألسنية من خلال العودة إلى الإشكال اللغوي و ما كان يدل عليه من فوارق اجتماعية و ثقافية بينهم - بوصفهم شعراء معربين- و بين من كانوا ينتسبون إلى اللغة الفرنسية. و ذلك من خلال التركيز على ما حققه الانتماء إلى هذه اللغة للأدباء و الشعراء الناطقين بها من مستوى اجتماعي وثقافيٍ مكّنهم من فرص التماهي مع المرحلة أكثر من نظرائهم المعربين. و ربما تخوّف هؤلاء الشعراء كغيرهم من المثقفين المعربين من خلال التعبير عن مواقفهم في خضم الجدل الثقافي في مرحلة الثمانينيات، من أنْ "تضيعَ العربيةُ في الفرنسية، فيقع المسخ للناشئة فينشأون على غير شيء، ما دام كل ما يتعلمونه هو غير شيء. [و قد] أصبح الفرنكوفيليون يتحكمون في مصير الأغلبية، و يرفضون تطلعاتها، و يدوسون على القيم التي تؤمن بها".

و سنرى أن شعراء ما بعد السبعينيات سيؤكدون على مشكلة الهوية الوطنية و الانتماء الحضاري و الغربة داخل اللغة الأم و تصوير الفوارق الاجتماعية و نقد البنية السياسية السائدة في أطروحاتهم الثقافية و نصوصهم الشعرية. و ذلك من خلال اتخاذ الإشكالات الأساسية التي أفرزها المجتمع في مرحلة الثمانينيات تيماتٍ ذات دافع يحمل في حركيته أساليب التعبير عن حدة الطرح الشعري المؤدِّي بدوره إلى تجاوز الأنماط السائدة على مستوى النصوص وتحرير فضاءاتها الدلالية و الفكرية من الرؤية المهيمنة عليها. و قد أصبحت المساءلات الجوهرية التي كانت تحملها هذه المرحلة التاريخية في مستوياتها السياسية و الإيديولوجية ظاهرةً للعيان بصورة واضحة في هذه النصوص .

و الأكيد أن هذه التيمات قد دلّت الشعراء على مسافة الفارق الذي يجب تحقيقه من أجل الانفصال عن شعرية السبعينيات. و قد ساعد على ذلك تبلور مفاهيم الصراع الثقافي بين تيارين أساسيين متناقضين يتجاذبان مساحة النقاش الفكري و الإيديولوجي:

أ- تيار عروبي إسلامي يريد أن يؤكد على ضرورة الانتماء الحضاري من خلال الرجوع إلى الأصول المُغيّبَة في فترة السبعينيات بوصفها مرجعيات متأصلة.

ب- و تيار لائكي يساري يريد أن يحافظ على المكاسب المحققة في المرحلة السبعينية و دعمها خوفا من ضياعها نظرا لاهتزاز البنية الإيديولوجية لهذه المرحلة في أذهان الجيل الجديد من المثقفين.

و تجلى ذلك من خلال التموقع الإيديولوجي للتيارين اللذين ظهرا وكأنهما يستعدان لمعركة حاسمة لم يكن أحد يعلم ما تخبئه مآلاتها السياسية و انعكاسها على مستوى الواقع الاجتماعي. و قد كانت الجامعة الجزائرية ميدانا حقيقيا لتجليات الصراع الفكري بين هذين التيارين على مستوى النقاش الفكري الحاد، و بداية ظهوره في وجهه العنيف. كما كانت (ملتقيات الفكر الإسلامي) مخبرا حقيقيا لبلورة المشروع الإسلامي الزاحف في صورته المشرقية في أذهان المنتمين إليه، والذي كان يستقي دعائمه الإيديولوجية من الحراك السياسي و الفكري العربي العام الذي كانت الجزائر جزءا منه.

و لعل هذا المعلم الثاني الفاصل لمرحلة الثمانينيات ستتحدد نهايته في (أحداث أكتوبر 1988) على مستوى الجزائر في الوعي الثقافي العام للجيلين المتصارعين من خلال التيقن من انتهاء مرحلة تاريخية بكل ما حملته من رؤى سياسية و اقتصادية و اجتماعية و ثقافية من جهة، و نهاية مبررات بقائها على مستوى الخطاب الأدبي و تجليات هذه الانعكاسات على بنياته الشكلية و الدلالية و الفنية من جهة ثانية. و لعل الذي سيؤكد نهاية هذه الرؤية هو تجلي نهايتها على المستوى العالمي، و ذلك بانهيار النظام الاشتراكي، و تلاشي الأنظمة الشيوعية على المستوى السياسي من خلال معلم تاريخي فاصل هو سقوط جدار برلين سنة1989 .